الطرق الشرعية لمواجهة طاعون «كورونا»

خطبة جمعة ألقاها

أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي

وفقه الله وهداه وسدده

كانت هذه الخطبة في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

بتاريخ ٢٥ رجب ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب٧٠ - ٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة،

وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**».

فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ستاً من أشراط الساعة، ومن هذه الأشراط والعلامات: العلامة الثالثة التي ذكرها في هذا الحديث، فقال: «**ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ**». ومعنى مُوتان: أي موت كثير، وموت شديد متلاحق، يأخذ فيكم كقُعاص الغنم، وقُعاص الغنم: هو داء ومرض يُصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت على إثره فجأة.

فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه يفشو في الناس موت شديد متكاثر متلاحق، كالداء الذي يصيب الغنم، إما زكام، أو سعال، أو شيء يسيل من الأنوف، يكون على إثرِه الموت الكثير المفاجئ.

وقد حمل العلماء هذا الحديث على ما وقع من الطاعون في زمن عمر رضي الله عنه، الذي يُسمى بطاعون عَمَواس، لأنه ذُكر في الحديث بعد فتح بيت المقدس، وكان طاعون عَمَواس بعد فتح بيت المقدس، في العام الثامن عشر من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، في خلافة عمر رضي الله عنه، ومات فيه من الصحابة والتابعين ومن أهل تلك البلدان أناس كثير.

وعَمَواس قرية في الشام في فلسطين، ومات في هذا الطاعون أكثر من خمسة وعشرين ألفاً، كان فيهم من الصحابة أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل وبعض أهل بيته، وشرحبيل بن حسنة، وغيرهم رضي الله عنهم.

وليس معنى هذا الحديث أن هذا الموت الشديد هو ما حصل في ذلك الزمان فقط، بل حصل الطاعون في ذلك الزمن ولا تزال بقية منه باقية، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الوَجَعَ فَقَالَ: «**رِجْزٌ، أَوْ عَذَابٌ، عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأُمَمِ، ثُمَّ بَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ، فَيَذْهَبُ الـمَرَّةَ وَيَأْتِي الأُخْرَى، فَمَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ يُقْدِمَنَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ بِأَرْضٍ وَقَعَ بِهَا فَلاَ يَخْرُجْ فِرَارًا مِنْهُ**».

فهو عذاب عُذِّب به من كان قبلنا، وبقيت منه بقية، يأتي في الناس ما شاء الله تعالى أن يأتي ثم يذهب وينقطع، وهكذا.

ويرى بعض العلماء أن الطاعون: هو كل مرض يحصل به موت عام، كل مرض يكون بسببه موت شديد متكاثر متلاحق، وقد وقعت الطواعين على مر الأزمان، فأولها في تاريخ الإسلام طاعون عَمَواس الذي كان في خلافة عمر رضي الله عنه، ثم بعده طاعون الجارف الذي مات فيه أكثر من

سبعين ألفاً، ثم بعدها طواعين متعددة حتى كان يموت في البلد الواحد في اليوم الواحد أكثر من عشرة آلاف، حتى ذكر المؤرخون أنه كان يموت في بعض الطواعين في بلاد مصر والقاهرة ما يُقارب عشرين ألفاً في اليوم الواحد، حتى كانوا يدفنون الثلاثين والأربعين والخمسين في القبر الواحد.

ثم كذلك وقعت الطواعين، ومن ذلك ما نسمع عنه في أيامنا هذه، وهو ما يسمى **"كورونا"** الذي وقع في بلاد الكافرين، ثم وقع في بلاد المسلمين.

وينبغي أن يُعلم أن الطاعون كما هو عذاب على الكافرين هو رحمة بالمؤمنين، فهذا البلاء وإن وقع فهو رحمة بالمؤمنين، جاء في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا: «**أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ الله عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ الله رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ**

يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ».

بَوَّب البخاري رحمه الله على هذا الحديث: "بَابُ أَجْرِ الصَّابِرِ فِي الطَّاعُونِ"، وبَوَّب عليه باباً آخر: "باب ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾".

فهو عذاب على الكافرين وهو رحمة بالمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً، يصبر على هذا البلاء، مُحتسباً للأجر من الله تعالى، مؤمناً بقضاء الله وقدره يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا أكرمه الله وكان له مثل أجر شهيد.

وجاء في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

وجاء في صحيح مسلم وبنحوه في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ**».

فالطاعون شهادة لكل مسلم، رحمة من الله جل وعلا بالمسلمين، وعذاب يعذب الله تعالى به من شاء من الكافرين .

ومما ينبغي تجاه هذا المرض، **أولاً**: أن العباد يوقنون أن كل شيء واقع بقدر الله جل وعلا، قال الله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ**﴾، وقال:﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْـمُؤْمِنُونَ**﴾، وقال: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾ أي: قد كتبها الله ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ﴿**إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾.

فكل شيء واقع بقدر الله جل وعلا، فعلى العبد أن يؤمن بقدر الله، وأن يرضى بذلك، وأن يعلم أن لله تعالى فيه الحكمة البالغة، يعذِّب به من شاء من الكافرين ويرحم به من شاء من المؤمنين، ويدعوهم بذلك إلى الرجوع إليه، والتوبة إليه سبحانه وتعالى.

وكما أنه واقع بقدر الله ومشيئته فذلك له أسباب أيضاً، ومن أسباب وقوع الطواعين كثرة الفواحش وانتشارها في أوساط الناس فإن ذلك يؤدي إلى فشو الطواعين، وانتشار الأمراض المهلكة، كما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم، ففي سنن ابن ماجه وغيره عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْـمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ....»**.

والفاحشة: اسم لكل ذنب يُسْتَفْحَش ويُسْتَقْبَح، والمراد بها هنا فواحش الفروج من الزنا واللواط ونحوها، فانتشار ذلك من أسباب فشو هذه الطواعين، وهذه الأمراض، وهذه الابتلاءات، لِيَرُدَّ الله العباد بذلك إليه، وليتركوا هذه الذنوب والفواحش، ولِينبِّه الله تعالى العباد على عجزهم وضعفهم، فهذه الأمراض يبين الله تعالى فيها عظيم قدرته وعجز خليقته، فالخليقة عاجزة أمام قدرة الله، فهذا مرض يسير، وفيروس صغير، أرعب العالم، وقضّت مضاجعهم لأجله، وصاروا في خوف وقلق شديد منه، رغم تطور مادِّيـَّاتهم ومعلوماتهم وخبراتهم، رغم حداثة علومهم وتقنياتهم، ومع ذلك عجزوا عن مقاومة هذا البلاء اليسير الذي كتبه الله سبحانه، لتعلم أن الله جل وعلا على كل شيء قدير، ومهما بلغ العباد من القدرة، ومهما بلغوا من الذكاء، ومهما وصلوا إليه من العلوم، فإن علمهم قاصر، ومقدرتهم ضعيفة أمام قدرة الله جل وعلا.

فهذه دُوَلٌ ممن هي من الدول الكبرى تعلن عجزها تجاه هذا المرض الذي كتبه الله سبحانه، وهو شيء يسير، ومخلوق ضعيف من مخلوقات الله جل وعلا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ .

أيضاً مما ينبغي أن يُعلم أن هذا البلاء وهذا المرض، إذا وقع في بلد فلا يجوز لمن هو في ذلك البلد أن يخرج من ذلك البلد فِراراً منه، وهكذا من سمع به قد وقع في بلد فلا يجوز أن يدخل ذلك البلد، فقد جاء في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه ذهب زائراً إلى الشام أيام خلافته وكان قد وقع فيها الطاعون، الذي يسمى بطاعون عَمَواس، فتلقاه أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أمير الشام ومن معه من الأجناد والأمراء وأخبروه أن الطاعون قد وقع، فاستشار عمر ﷺ الناس هل يدخل الشام وقد وقع فيها الطاعون أو يرجع، فكانت المشورة من أكثر الحاضرين، من مشيخة قريش ممن أسلم يوم الفتح وغيرهم، قالوا: معك وجهاء الناس ومعك بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ

تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ –أي إني مسافر وراجع إلى المدينة صباحا–. فقَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ – فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**». قَالَ: فَحَمِدَ الله عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ.

وبنحو ذلك في الصحيحين عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ**

عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ».

فلا يجوز الفرار من بلد من بلدان المسلمين إذا وقع فيه هذا الوباء، بل يلزم الإنسان بلده ويصبر ويحتسب ما يحصل له فيه ويرضى بذلك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ الله لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**».

فلا يصيب الإنسان إلا ما كتبه الله له، ولو مرض أهل البلد كلهم فلن يصيبك الوباء إلا إذا كتب الله تعالى عليك ذلك، أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس: إن مما ينبغي أيضًا تجاه هذا الوباء: الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والتوبة، والتَّضرُّع والاستكانة والإنابة لله جل وعلا، فإن هذا من مراد الله تعالى من تقدير هذه الابتلاءات، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾، فذمَّ الله هؤلاء الكافرين لـمَّـا نزل بهم العذاب فلم يستكينوا لله، ولم يتضرعوا إليه.

وأما المؤمن فهو مستكين منقاد لله جل وعلا، فيجب على المسلمين أن يرجعوا إلى الله تعالى، وأن يتوبوا؛ فإن الله تعالى يُنزِل هذا الابتلاءات، لأجل أن يستكين العباد، وأن يراجعوا إليه، وأن يتضرعوا، قال الله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**

لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ هذا هو القصد من البأساء والضراء التي تصيب العباد لعلهم يتضرعون، **﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** فعلى العباد أن يتوبوا إلى الله تعالى، وأن يرجعوا إليه؛ فإن هذا البلاء كتبه الله تعالى لأجل أن يرجع العباد إليه، كما قال تعالى: **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** لعلّهم يرجعون إلى الله سبحانه، لعلّهم يتوبون إلى الله جل وعلا، فالله يبتلي العباد ليتوبوا إليه، ليرجعوا إليه، فإذا تابوا ورجعوا إليه رفع عنهم ذلك لأن هذا هو القصد من البلاء كما أخبرنا ربنا بذلك **﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** فلن يغير الله أمراً أصاب قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بالتوبة والاستكانة والإنابة.

واجب على المسلمين أن يبتعدوا عن معصية الله، من الشرك بالله، والكفر به، والاستهزاء بدينه، وهكذا يبتعدوا عن المنكرات والمحرمات، عن

شرب الخمور والمخدرات، عن المعاملة بالربا، عن ارتكاب الفواحش، ويقوموا بإغلاق أماكن الزنى والدعارة والفواحش التي فشت في كثير من بلاد المسلمين، وهكذا واجب على المسلمين أن يجتنبوا ما حرم الله من آلات اللهو واللعب التي تؤدي إلى الغفلة عن طاعة الله وعبادته وذكره جل وعلا، وهكذا واجب عليهم أن يبتعدوا عن القتل بغير حق وسفك الدماء المحرَّمة المعصومة، ويبتعدوا عن الظلم وسلب الأموال والممتلكات وأخذها بغير حق، وهذا يبتعدوا عن الرشوة والحكم بغير ما أنزل الله، وهكذا يبتعدوا عن كل ذنب ومعصية لله عز وجل، فذلك هو سبيل النجاة، ذلك هو سبيل رفع البلاء ونزول رحمة الله، ذلك هو سبيل التغيير من الله جل وعلا إلى الأحسن.

هكذا على العباد أن يتحصنوا بذكر الله فذكر الله تحصين وحفظ وسلامة، سواء كان بقراءة القرآن، أو بأذكار الصباح والمساء، أو بأذكار النوم والدخول والخروج، أو بغيرها من الأذكار المشروعة التي تعتبرا حصنا

حصينا للمسلم، جاء في سنن الترمذي عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ الله الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ**». وَكَانَ أَبَانُ، قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: «مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ الله عَلَيَّ قَدَرَهُ». أي أن أبان بن عثمان بن عفان حين حدَّث بهذا الحديث كان قد أصابه الفالج وهو مرض كالشلل، فجعل الذي سمع منه هذا الحديث ينظر إليه متعجبا، يعني: كيف تحدثنا بهذا الحديث وقد أصابك من هذا المرض، فقال له: لا تعجب فإن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقل هذا الدعاء في يوم من الأيام فنزل بي ما ترى من المرض، أي حين لم يقل هذا الذكر العظيم أصابه طرف من مرض الفالج.

وهكذا في سنن الترمذي والنسائي عن عَبْدِ الله بْنِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: «**قُلْ**» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ**»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: «**قُلْ**»، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، وَالـمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**». تكفيك كل بلاء، وكل شر، لمن قالها موقناً بها.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البدري رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**». ومعنى كفتاه: أي تكفيه كل ضرر وشر.

وفي مسند الإمام أحمد وبعض السنن عن عَبْدَ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنِّي**

أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي....». فيسأل الله العافية في دينه ودنياه وأهله وماله.

وهكذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله من الأوبئة، والأسقام السيئة، والأدواء المنكرة، ففي سنن أبي داود عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالْـجُنُونِ، وَالْـجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ**»، وفي صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم وغيرهما بسند صحيح عَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ**». الأدواء أي: الأمراض المنكرة التي ليست معروفة، والمنكرة أيضا بمعنى الشديدة المستعصية، كان النبي عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله من ذلك.

فذِكرُ الله ودعاؤه حصَانة من هذا الوباء ومن كل وباء.

وهكذا مما يتحصن به المسلم الأسباب الـحِسِّيَّة كالبعد عن مخالطة المريض، ففي صحيح البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَفِرَّ مِنَ الـمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**». وفي صحيح مسلم عن الشَّرِيدِ بن سويد، قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**». وهكذا جاء في الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**». والمُمْرِض هو صاحب الإبل المراض والمُصِح هو صاحب الإبل الصحاح، فمعنى الحديث لا يورد صاحب الإبل المراض إبله على إبل صاحب الإبل الصحاح.

فهذا أيضاً من الأسباب الشرعية التي يُعمل بها في مواجهة المرض والبلاء الذي ينتشر ويكون من أسباب انتشاره الخِلطة، فمن الأسباب الشرعية أن يُعزل المريض وأن لا يخالط الأصحاء، وهكذا أشار إلى هذا رسول الله ﷺ في الحديث المخرَّج في الصحيحين عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وأسامة

بن زيد ﷺ أن رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطاعون بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**»، فهذا أيضا من باب الوقاية، أَمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم المريض أن لا يخرج من بلده حتى لا ينقل الوباء إلى غيره من البلدان، وأَمَرَ من كان خارج ذلك البلد أن لا يدخل إليه حتى لا يصيبه من ذلك الوباء.

ولا ينافي هذا قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا عدوى**»، فإن معنى قوله ﷺ: «**لا عدوى**» أي: لا تنتقل العدوى بنفسها كما كان يعتقده أهل الجاهلية، ولكن تنتقل بقدر الله.

وهكذا من الأسباب الحسية ما يقوم به الناس من تعقيم أو تنظيف أو نحو ذلك مما يرونه نافعاً، هذا أيضا سبب من الأسباب.

لكن هذه أسباب حسية، وهناك أسباب أعظم منها وهي التحصّن بذكر الله، وبطاعته، ودعائه، وكذلك التوبة إلى الله، والرجوع إليه، والإنابة، والتضرع، والاستكانة، حتى يرفع الله تعالى هذا البلاء عن الناس.

فوالله إنه بلاء شديد وأمر عظيم، كيف لا يكون عظيما وبلدان كثيرة ودُوَل أُغلقت فيها المساجد، لا يُصلى في مسجد من مساجدها، أليس هذا من البلاء، لك أن تتخيل أيها المسلم أن المساجد مُغلقة، وأن الأسواق معطَّلة، وأن اجتماعات الناس خالية مفقودة، أيُّ بلاء هذا؟! بلاءٌ شديد، بلاءٌ عظيم.

يجب على العباد أن يسلكوا في ذلك الطرق الشرعية، فيتوبوا إلى الله، ويتضرعوا إليه ويستكينوا، وهكذا عليهم أن يزيلوا أماكن الفساد، أماكن الشر، أماكن المنكرات، التي كثُرتْ في كثير من بلدان المسلمين.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنّا نعوذ بك من جهد البلاء، ودَرَكِ الشقاء، وشماتة الأعداء، وسوء القضاء.

اللهم جَنِّبْنا منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء.

اللهم جنبنا وجنب بلادنا وبلاد المسلمين الوباء والبلاء يا رب العالمين.

اللهم اجعل هذا الوباء عذباً على الكافرين، ورحمة بالمؤمنين، اللهم عذّب به أعداء دينك، اللهم ارحم عبادك المؤِمنين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين .

ملحق:

هذا الملحق فيه فائدة، في بيان تأثير الطاعات ولا سيما الصدقات في رفع البلاء، وشفاء الأمراض.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٤/ ١٠-١١): بَلْ هَاهُنَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الْأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجَارِبُهُمْ وَأَقْيِسَتُهُمْ، مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ، وَالرُّوحَانِيَّةِ، وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى الله، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَالِانْطِرَاحِ وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدْيِهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَالصَّدَقَةِ، وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَإِغَاثَةِ الْـمَلْهُوفِ، وَالتَّفْرِيجِ عَنِ الْـمَكْرُوبِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْهَا الْأُمَمُ عَلَى اخْتِلَافِ أَدْيَانِهَا وَمِلَلِهَا، فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الْأَطِبَّاءِ، وَلَا تَجْرِبَتُهُ، وَلَا قِيَاسُهُ، وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْ هَذَا أُمُورًا كَثِيرَةً، وَرَأَيْنَاهَا تَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَدْوِيَةُ الْحِسِّيَّةُ. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله أيضا في الوابل الصَّيِّب ص(٣١): فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر،

فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقرُّون به لأنهم جَرَّبوه.

وقال المناوي رحمه الله في فيض القدير (٣/ ٥١٥): أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمداواة المرضى بالصدقة(١)، ونبَّه بها على بقية أخواتها من القُرَبِ، كإغاثة ملهوف، وإغاثة مكروب، وقد جرَّب ذلك الموفَّقُون فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية.

وفي كتاب شعب الإيمان للبيهقي رحمه الله (٣٢٨١) عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي رحمه الله قَالَ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنِ الرَّجُلِ الظَّلُومِ.

وأخرجه البيهقي أيضا في الشعب (٣٠٨١) من طريق أخرى بلفظ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الرَّجُلَ الظَّلُومَ إِذَا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ دَفَعَ عَنْهُ.

قلت: وقد وقعت وقائع كثيرة تؤيد ما سبق وتدل عليه فمن ذلك:

---

(١) يشير رحمه الله إلى حديث: «**داووا مرضاكم بالصدقة**». قلت: وهو حديث ضعيف رُوي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من طرق كلها شديدة الضعف، وأحسن ما في الباب مرسل عن الحسن البصري رحمه الله.

ما جاء في كتاب شعب الإيمان للبيهقي : (٥/ ٦٩) (٣١٠٩) قال رحمه الله:
أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْـمُعَدِّلُ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ عَبْدَانَ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ الْجَرَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْـمُبَارَكِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قُرْحَةٌ خَرَجَتْ فِي رُكْبَتِي مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ، وَقَدْ عَالَجْتُ بِأَنْواعِ الْعِلَاجِ، وَسَأَلْتُ الْأَطِبَّاءَ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى الْـمَاءِ فاحْفُرْ هُنَاكَ بِئْرًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَنْبُعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكُ عَنْكَ الدَّمُ. فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِئَ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَفِي هَذَا الْمَعْنَى حِكَايَةُ قُرْحَةِ شَيْخِنَا الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ قَرِحَ وَجْهُهُ وَعَالَجَهُ بِأَنْواعِ الْـمُعَالَجَةِ فَلَمْ يَذْهَبْ وَبَقِيَ فِيهِ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ، فَسَأَلَ الْأُسْتاذَ الْإِمَامَ أَبَا عُثْمَانَ الصَّابُونِيَّ أَنْ يَدْعُو لَهُ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَدَعَا لَهُ، وَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّأْمِينِ، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى أَلْقَتِ امْرَأَةٌ فِي الْـمَجْلِسِ رُقْعَةً بِأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَاجْتَهَدَتْ فِي الدُّعَاءِ لِلْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: يُوسِّعُ

الْـمَاءَ عَلَى الْـمُسْلِمِينَ، فَجِئْتُ بالرُّقْعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ الله فَأَمَرَ بِسِقَايَةِ الْـمَاءِ بُنِيَتْ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَحِينَ فَرَغُوا مِنَ الْبِنَاءِ أَمَرَ بِصَبِّ الْـمَاءِ فِيهَا وَطُرِحَ الْجَمَدَ (يعني الثلج) فِي الْـمَاءِ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الشُّرْبِ فَمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُسْبُوعٌ حَتَّى ظَهَرَ الشِّفَاءُ، وَزَالَتْ تِلْكَ الْقُرُوحُ، وَعَادَ وَجْهُهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ سِنِينَ.

وفي معجم السفر لأبي طاهر السِّلَفِي (٨٢٧) قال رحمه الله: سَمِعت أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ الْكَاتِبَ الْـمَيْنَزِيَّ بِدِمَشْقَ يَقُولُ سَمِعت أَبَا بَكْرٍ الْخَبَّازِيَّ بِنَيْسَابُورَ يَقُولُ مَرِضْتُ مَرَضًا خَطرًا فَرَآنِي جَارٌ لِي صَالِحٌ فَقَالَ اسْتَعْمِلْ قَوْلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ» وَكَانَ الْوَقْتُ صَيفًا فَاشْتَرَيْتُ بِطِّيخًا كَثِيرًا وَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالصِّبْيَانِ فَأَكَلُوا وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَدَعَوْا لِي بِالشِّفَاءِ فَوَالله مَا أَصْبَحْتُ إِلَّا وَأَنَا فِي كُلِّ عَافِيَةٍ مِنَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.